الفكر الجغرافي العربي الاسلامي حتى نهاية العهد العثماني
يمثل احتلال بغداد من قبل المغول سنه ( 656هـ - 1258 م ) حدا فاصلا في تاريخ القسم الشرقي من الوطن العربي . اذ ان بغداد منذ تأسيسها على يد المنصور سنه 145هـ اصبحت عاصمه للفكر العربي وخاصه الجغرافي . فجميع الجغرافيين الذين غذو الفكر الجغرافي بمعرفتهم هم خريجو هذا المركز , بالرغم من التدهور السياسي الذي اصاب بغداد , نتيجة لتدهور الخلافة العباسية . فان الكيانات السياسية التي جاءت بعد ذلك لم تبتعد بعد ذلك عن فكر بغداد ودورها في توجيه المعرفة.
ولكن بعد سيطرة المغول واحتلال بغداد من قبلهم سقطت المعرفة العلمية نتيجة للاتجاهات المغولية التي تقوم على اتجاه القضاء على مقاومات الشعوب الحضارية . لذلك وجه المغول همهم لتدمير المكتبات وحرق الكتب قبل ان يقضوا على ما تبقى من الاوضاع السياسية .
وكان من نتيجة ذلك ان تنازلت بغداد عن قيادة الفكر الجغرافي بعد ان التهمت النيران المغولية معظم مكاتبها وقُتل وشُرد معظم علمائها , فظهرت مراكز جديده تولت القيادة الفكر الجغرافي . فبرزت مدينه حلب التي لجأ اليها بعض العلماء الذين تمكنوا من الخلاص من فتك المغول , وجاءت بعدها دمشق ومن ثم القاهرة التي استلمت جانبا من قيادة الفكر الجغرافي طيلة الفترة المظلمة التي مرت على بغداد بعد غزو المغول فهاجر اليها العلماء الذين حافظوا على التراث الذي نشأ هناك , وكان من نتيجة ذلك ان نشأت في مصر انماط جديده في مجال الفكر الجغرافي فقد نشأ (الدواوين) وهي مراجع اداريه واقتصاديه عملت من اجل كتاب الدواوين، كما ظهر نمط جديد يُعرف ( الخطط ) وهي عباره عن اوصاف تاريخية وأداريه للنواحي والاحياء المختلفة من المدن الكبرى .

من اشهر الذين مارسوا هذه الألفاظ عثمان بن ابراهيم النابلسي، وهنا لا بد من الإشارة الى ان البلاد العربية لم تمسها جميعا وطأة الغزو المغولي فاستمرت تنمو وتترعرع فيها الانماط المعروفة في الفكر الجغرافي والتي انتقلت الى الجهات الغربية من الوطن العربي سواء في مصر ام في المغرب في الاندلس , وكذلك الحال في الشرق حيث تميزت الفترة التي تلت الغزو المغولي بظهور عدد من الاثار الكبيرة في محيط الفكر الجغرافي , تحتل بأنماطها نفيس المكانة التي احتلتها انماط ما قبل الغزو المغولي .
في المحاضرة السابقة تناولنا فيه الفكر الجغرافي العربي الاسلامي حتى سقوط بغداد ، حيث تمت معالجة الموضوع على اساس تقسيم البحث الى مراحل ثم شرح اهم الجوانب التي يقوم عليها الفكر الجغرافي فتمت معالجه الجغرافية العامة , وعلم الفلك, والرحلات وما نشير الى الجانب الفكر وثم نتابع الذين ساهموا في اغناء ذلك ، فضلاً عن اهم الاضافات التي قدمها كل عالم جغرافي في مجال الحقل الذي تخصص به ، اضافة الى ان الفكر الجغرافي في الفترة التي سبقت الغزو المغولي كانت متركزا في مدينة بغداد. اما بعد ذلك فقد تشعبت المراكز وتعددت واتسع الافق الجغرافي الذي تناولته الابحاث الجغرافية وخاصه في مجال الجغرافية الإقليمية , فقد برزت في مرحله ما بعد سقوط بغداد , دراسات تناولت مناطق جديده كانت حصتها في البحث في مرحله ما قبل السقوط محدودة وفي مقدمتها القاره الأوربية ومناطق الشرق الاقصى .
ويمكن ان نشخص اهم المظاهر التي برزت في الفكر الجغرافي بعد سقوط بغداد بما يلي :

1- انتقال الحركة الجغرافية من المشرق الى المغرب والاندلس.
2- نشوء فتره ركود في الفكر الجغرافي وظهور جغرافيين وكوزموغرافيين معظمهم من الاندلس والمغرب ومصر والشام، ويغلب على مادتهم النقل.

(((الكوزموغرافيا))): علم أوصاف الكون ورسم الدنيا هو العلم الذي يبحث في مظهر الكون وتركيبه العام، وهو يشمل علوم الفلك والجغرافيا والجيولوجيا، يُعتبر كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للعالم أبو عبد الله بن زكريا القزويني المُصنف في القرن الرابع عشر أول مُصنف تحدث عن علم أوصاف الكون بشكلٍ دقيق.
 3- بروز الجغرافية الإقليمية التي اخذت تناول بحث كثير من المناطق ولم يكن مؤلفها دائما من اهل المنطقة، ومن امثله ذلك كتابات الدمشقي عن جنود شبه جزيرة العرب والحجاز الاوسط.
4- ظهر في مصر نمط جديد في مجال الفكر الجغرافي تمثل في جغرافية ( الدواوين ) وجغرافية (الخطط) الاول يتمثل في مراجع اداريه واقتصاديه من اجل كتاب الدواوين , والثاني عباره عن اوصاف تاريخيه واداريه للنواحي والاحياء المختلفة من المدن .
5- ظهور بوادر نهضة اوربية وبخاصيات معينة منها اشاعة الخرائط البحرية الى ضهور بوادر لتطور الحياة الاقتصادية.
6- تحول مهم في اتقان الفنون البحرية وبناء السفن الكبيرة القادرة على القيام بالرحلات البعيدة مع تطور طبيعة المعلومات الجغرافية الامر الذي مهد للكشوف الجغرافية.
7- برزت خاصية نقل المعلومات ، حتى يمكننا ان نقول ان ثلثي الذين جاءوا بعد الادريسي نقلوا عنه واشاروا اليه واستعلموا مصنفاته الجغرافية وحتى الادريسي قد اعتمد على الكثيرين من الذين سبقوه.
8- كانت النتيجة الحتمية للغزو المغولي ان فقدت اللغة العربية سيطرتها نهائيا على المشرق واحتلت مكانها لغات اخرى.
 وفيما يأتي عرض المؤلفين العرب في هذه الفترة المظلمة وانتاجهم العلمي والادبي ودورهم في تطوير الفكر الجغرافي الاسلامي .
1- ابن سعيد الغرناطي الاندلسي:
هو ابو الحسن , علي بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الاندلسي ولد سنه (610هـ - 1214م) وتوفي سنه (685هـ - 1286م) بالقرب من غرناطة، قام برحلات الى الديار المقدسة وزار مصر والعراق ودرس في بغداد قبل نكبتها ثم رحل الى حلب ودمشق، ويجمع ابن سعيد في كتاباته بين الجغرافية والتاريخ .
ومع انه اعتمد في كتاباته على ما جاء به الادرسي الا انه امتاز بالتطبيق وقد قدم معلومات عن بعض الاقطار الأوربية وبأسلوب طريف كما قام عدد من الخرائط منها , صوره ديار العرب وصور الجزيرة وصور العراق .
وقد شارك الادريسي في تقسيم المعمورة من الارض والاقاليم كالأحزمة العريضة تحيط بكرتها ولكنه اختلف عنه بأنه جعل الاقاليم تسعه.
كما نه حدد كرويه الارض واشار الى حدود المعروف منها في عصره . واشار الى خطوط الطول ودوائر العرض , اما اهم مؤلفاته فتتمثل في كتابي :

1. فلك الادب.
2. بسط الارض في الطول والعرض.

2-القزويني , زكريا بن محمد
ولد القزويني سنه (605هـ: 1208). وتوفي سنة ( 682هـ : 1283م) ويعود اصله الى العرب . ويعد من اقرب الكتاب الى نفوس الجماهير ويعزى ذلك الى ان مصنفاته كانت قريبه من نفوسهم وتتجاوب مع رغباتهم كما يعد اكبر كوزموغرافي ومبسط للعلوم من اجل الجماهير .
وقد مثل القزويني دورا جغرافيا وفلكيا وجيولوجيا . من اثاره الجغرافية كتاب (اثار البلاد واخبار العباد) وله كتاب في الفلك والجغرافية الطبيعية عند العرب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات).

 والقزويني بالطبع ناقل مثالي ويقدم لنا نموذجا حيا لعصر التدهور وهو بالرغم من اطلاعه الواسع ومعلوماته الغزير الا انه لا يأتي بجديد ولا يصوغ نظريه اصلية .
(وابن سعيد و القزويني) همــا اضخم الاسماء التي ظهرت في محيط الفكر الجغرافي نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، والى جانبهم تتضاءل اسماء اولئك الرحالة الذين اكتسب كل واحد منهم اهميه معينة في محيطه الخاص ولكنهم لم يلعبوا دورا هاما في المحيط العام , لهذا فأننا نقتصر الى معلومات كفاية عنهم وعن النادر من مصنفاتهم ايضا. واغلب هؤلاء اتجهوا من المغرب الى المشرق وقد اخذت هذه الاسفار صفات الرحلات التي تميز بها الفكر الجغرافي في (القرن الثامن الهجري :الرابع عشر لميلادي) .
3- ابو الفداء عماد الدين :
هو عماد الدين اسماعيل بن علي بن ايوب بن شاذي صاحب حماة .
ينتسب الى اسره الايوبيين , مؤرخ وجغرافي .
ولد سنه ( 672هـ : 1273م) وتولى مناصب اداريه رفيعة ولكنها لم تشغله عن التأليف ,لقب ((( بالملك الصالح والملك المؤيد )) لما اشتهر به من حسن السيرة وتقريبه للعلماء والادباء آلف كتابين مهمين:

1. الاول في التاريخ ( المختصر في اخبار البشر).
2. والثاني في الجغرافية ( تقويم البلدان( .

وقد عاصر ابو الفداء الجغرافي المعروف بالدمشقي . ويعد كتابه في الجغرافية من المصادر العربية التي تركت اثر في القاره الأوربية ويشير كراتشكوفسكي الى راي العالم الفرنسي رينو Reined في كتاب ابي الفداء,, تقويم البلدان .

 ان العصور الأوربية الوسطى لم تعرف كتابا يمكن مقارنته به وكتاب ( تقويم البلدان) يشتمل على قسمين :

# الاول الكوزموغرافيا العامة ويظم المعلومات التي اعتاد الجغرافيين العرب على تقديمها عن الارض واقسامها وقد خالف الادريسي في تقسيم السباعي فقد قسم الاقاليم الى 28 منطقه .
# القسم الثاني يحتوي على جدول بأسماء الاماكن مع بيان درجات اطوالها وعروضها .
كان العلماء الذين اشرنا اليهم سابقا ابن سعيد , القزويني , ابي الفداء \_ يمثلون الفكر الجغرافي الذي ساد في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وبحلول القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي , بدأ نصيب الاندلس والمغرب في تطور الفكر الجغرافي يتضاءل بصورة ملحوظة، وكان السبب في ذلك الوضع السياسي الذي حل بالأندلس , فقد اصبحت غرناطة المركز الوحيد للعرب في الاندلس والتي اصبحت تقريبا تحت رحمه الجيران .
وكان نمط الرحلات الجغرافية من انسب الانماط ملائمه للمرحلة التي عاشها الاندلسيون الا ان المغارية بأنماط الرحلات زاد على اهتمام الأندلسيين ونتج عن ذلك عدد من الرحلات العربية ذات الأهمية العالمية والتي كانت مسك ختاما رحله ابن بطوطه.
اما في مصر , فقد استمر النمط الجغرافي السابق اضافه الى تطور نمطي الخطط والفضائل , واستمرت سيادته حتى القرن التاسع عشر.
اما في شرق الوطن العربي فقد تقلص ظل الفكر الجغرافي وعاش على ما ينتشر باللغات غير العربية.
4- ابن فضل الله العمري 700- 749هـ / 1300- 1348م
هو شهاب الدين احمد بين يحيى بن فضل الله العمري الدمشقي وترقى اسرته الى عمر بن الخطاب.
ويمثل بفكره وكتاباته وما امتاز به القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي فقد اعتمد في كتاباته على من سبقوه وعلى مقدمتهم الادريسي .
بما ان العمري عاش في مصر وتولى وظائف قضائية وادارية , فقد طغت على كتاباته ميزة القرن الرابع عشر الميلادي المتمثلة في كتابه الموسوعات اذ ان موسوعته وموسوعة النويري تعدان من اهم الموسوعات التي برزت في مصر .
ومن اشهر مؤلفاته ( مسالك الابصار في ممالك الامصار ) وهي موسوعة تتألف من 207 جزءا , وتقع في تسعه الاف وثمانمائة واحدى وثمانين صفحه خطيه .
وينقسم المؤلف الى قسمين الاول مكرس للأرض والثاني تناول فيه مختلف الشعوب وكل قسم , قسم الى ابواب وتناولت مفاهيم جغرافية عامه , برز فيها طابع النقل وقله الأصالة , ويمتلك العمري اطلاعا واسعا تولد لديه من انشغاله بالوظائف الحكومية , بصوره عامه ., فموسوعته تعد مصدرا مهما في الجغرافية والتاريخ .